بسم الله الرحمن الرحیم

جامعه الشهید تشمران بأهواز

کلیة الشریعة و المعارف الإسلامیة

رسالة مقدمه لنیل درجه الماجستیر

فی اللغة العربیة و آدابها

العنوان:

المقارنة بین الرثاء فی العصر الأموی و العصر العباسی

الاستاذ المشرف:

الدکتور محمود شکیب انصاری

الأستاذ المساعد :

الدکتور محمود آبدانان مهدیزاده

إعداد:

سعد ال ناصری

شهریور ۱۳۹۳

إهداء و تقديم :

إلى أبى، و أُمّى ، و زوجتى، و ابنتى تسنيم

شكر وتقدير :

الحمد لله وحده و الصّلاة و السلام على مَن لا نبيَّ بعده، و على آله الطاهرين و أصحابه المُنتجبين.

أتقدّم بخالص شكرى و امتنانى لِأستاذى الفاضل الدكتور محمود شكيب أنصارى الّذى أشرف على هذا البحث و أحاطه باهتمامه و رعايته.

كما أتقدّم أيضاً بالشكر الوافر للأستاذ المساعد الدكتور الفاضل محمود آبدانان لِتقبّله هذه المسؤوليّة و إبداء الملاحظات القيّمة.

و أتقدّم أيضاً بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضّلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة .

و الشكر لجميع أساتذتى فى هذه المرحلة : الدكتور محمود شكيب أنصارى، و الدكتور محمود آبدانان، و الدكتورة خيريّة عجرش، و الدكتور غلامرضا كريمى فرد، و الدكتور حسن دادخواه طهرانى و الدكتور صادق سياحى و الدكتور جواد سعدون زاده لما قدّموه لى مِن إرشادات خلال هذه الفترة الدراسيّة.

و أتقدّم بخالص شكرى و تقديرى لِأسرتى الّتى هيّأت لى الدعم و المساندة لإنجاز هذا العمل و الشكر أيضاً موصولٌ للأصدقاء و أخصّ بالذكر منهم الأخ جاسم بندى الّذى بذل جهداً وافراً لمساعدتى فى طباعة هذا البحث و العاملين فى المكتبة و كل من قدّم لى العون والمساعدة فى هذه الفترة .

الملخص

نام خانوادگی : ال ناصری	نام: سعد	شماره دانشجویی :۹۰۲۱۵۰۱
عنوان پایان نامه : المقارنة بین الرثاء فی العصر الأموی و العصر العبّاسی		
استاد/ اساتیدراهنما: دکتر محمود شکیب انصاری		
استاد/ اساتید مشاور: دکتر محمود آبدانان مهدیزاده		
درجه تحصیلی: کارشناسی ارشد	رشته: زبان و ادبیات عربی	گرایش: زبان و ادبیات عربی
دانشگاه : شهید چمران	دانشکده: الهیّات	گروه : زبان و ادبیات عربی
تاریخ فارغ التحصیلی : ۹۳/۶/۳۰		تعداد صفحه: ۱۴۷
کلید واژه ها : المقارنة – الرثاء – العصر الأموی – العصر العبّاسی		

هذه الرسالة بحث مقارنة بین الرثاء فی العصرالأموی الّذی یمثّل الحقبة الزمنیّة الّتی تلت عصر صدرالإسلام و بین الرثاء فی العصرالعبّاسی الّذی هو مِن المحطّات الهامّة إن لمْ نقُل أنّها أهمّ المحطّات فی الأدب العربی. و الهدف مِن هذا البحث هو عقد مقارنة واضحة عن طریق إتّجاهات الرثاء و هذه الإتجاهات هی الإتجاه العاطفی أو الوجدانی، و الإتجاه السیاسی، و الإتجاه المذهبی، و الأتجاه الإنسانی و الحضاری مِن خلال دراسة تحلیلیّة توصیفیّة تمکّن الباحث و القارئ الکریم مِن الوقوف علی هذا الغرض الشعری فی هذین العصرین، کما أنّنا لم نغفل فی هذه المقارنة الحدیث عن أسالیب الرثاء و مقدمة قصیدة الرثاء و کذلک الأوزان المستخدمة فی الرثاء فی العصرین. کما أشرنا أیضاً إلی التطوّرات و التغیّرات الّتی حصلت للرثاء فی العصر العبّاسی. و هذه التطوّرات لم تولد فجأة بل کانت نتیجةً للأوضاع الإجتماعیّة، و الإقتصادیّة، و العقلیّة، و الحضاریّة الّتی تطوّرت فی هذا العصر و ظهرت فی العصر العبّاسی و نتیجةً لتلکَ التغیّرات انواع جدیدة للرثاء کرثاء المدن و الدول و الآثار و و رثاء المغنّین و الجواری و الحیوانات و السِلَع و أعضاء الجسم، فی حین أنّ الرثاء فی العصر الأموی لم یخرج عن دائرة الأشخاص و برز الإتجاهینِ السیاسی و المذهبی بقوّة فی هذا العصر و أصبح الرثاء ممتزجاً بالأفکار السیاسیّة و المذهبیة و وسیلةً لتسجیل مآثر المرثی الدینیّة .

فهرس المطالب

العنوان **الصفحه**

التمهيد..... ١

الفصل الأول: نظرة عامّة إلى البيئة فى العصر الأموى و العصر العباسى

١) البيئة فى العصر الأموى..... ٥

أ) الحياة الدينية ٥

ب) الحياة العقليّة..... ٦

ج) الحياة الإقتصاديّة..... ٧

د) الحياة السياسية..... ٩

هـ) الحياة الإجتماعيّة..... ١٠

و) الشعر فى العصر الأموى..... ١٢

٢) البيئة فى العصر العباسى..... ١٣

أ) نظرة عامّة إلى العصر العبّاسى..... ١٣

ب) تقسيمات العصر العباسى..... ١٤

ج) قيام الدولة العبّاسية..... ١٤

د) البيئة الطبيعية و التقسيمات الإدارية..... ١٥

التقسيمات الإدارية..... ١٦

هـ) الحياة السياسيّة..... ١٧

و) الحياة الإجتماعية..... ١٩

س) الحياة الدينيّة..... ٢١

ط) الحياة الثقافية ٢٣

ی) الحياة الأدبية..... 25
١) الشعر و منزلة الشاعر.....26
٢) مظاهر التجدّد و التطوّر فی الشعر العبّاسی..... ٢٨
أ) تطور الفنون و الأغراض..... ٢٨
ب) تطوّرت الأفكار و المعانی و الأخيلة..... ٢٨
ج) تطوّر الألفاظ و الأساليب ٢٨
د) تطوّر الأوزان و القوافی..... ٢٩

الفصل الثانی: الرثاء

أ) معنی الرثاء لغة و اصطلاحاً ٣١
ب) نشأة الرثاء و سابقته ٣٢
ج) الرثاء فی الآداب العالميّة ٣٢
د) ألوان الرثاء ٣٣
هـ) أنواع الرثاء ٣٤
و) الرثاء فی العصر الجاهلی ٣٥
س) الرثاء فی العصر الأموی..... ٣٨
١) رثاء الخوارج.....39..
٢) رثاء الشيعة..... ٤٠
٣) رثاء الخلفاء و أقاربهم ٤٣
٤) رثاء العشاق ٤٦
ط) الرثاء فی العصر العباسی..... ٤٧
١) رثاء كبار الدولة..... ٤٧

٢) رثاء الأهل و الأقارب..... ٥٠
٣) رثاء المغنين و الجوارى..... ٥٤
٤) الرثاء الزهدى..... ٥٥
٥) رثاء غير الإنسان..... ٥٦
أ) رثاء المدن ٥٧
ب) رثاء القصور..... ٥٨
ج) رثاء البساتين..... ٥٨
د) رثاء الحيوان ٥٩
هـ) رثاء السلع و الأدوات..... ٦١
و) رثاء أعضاء الجسم ٦٢
٦) رثاء أهل البيت..... ٦٣

الفصل الثالث: المقارنة بين الرثاء فى العصر الأموى و العصر العباسى

١) اتجاهات الرثاء..... ٧٦
أ) الإتّجاه الوجدانى أو العاطفى..... ٧٦
ب) الإتجاه السياسى..... ٨٤
ج) الإتجاه المذهبى..... ٩١
د) الإتجاه الإنسانى و الحضارى..... ٩٩
٢) أساليب الرثاء فى العصر الأموى و العصر العبّاسى..... ١٠٦
أ) التكرار اللفظى..... ١٠٦
ب) النداء..... ١٠٩
ج) الدعا ١١٢

د) القَسَم ۱۱۶
هـ) ألإستفهام التقريری ۱۱۷
و) إشراک الطبيعة فی الحزن علی المرثی ۱۱۸
۳) المقدمة فی قصيدة الرثاء ۱۱۸
۴) الأوزان المُستخدمة فی الرثاء ۱۲۱
النتيجه و الخاتمه ۱۲۳
خلاصه‌ی پايان نامه به زبان فارسی ۱۲۶
المصادر و المآخذ ۱۴۳
المقالات ۱۴۹

التمهيد

الحمد لله والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء و المرسلين و على آله الطّيبين الطاهرين و أصحابه المنتجبين.

تناول الباحثون والدارسون دراسة أدب عصرى الأموى و العبّاسى و كانت هذه الدراسات محل اهتمامٍ كبير فى الأوساط و المجامع الأدبيّة، لذلک اخترت هذين العصرين المتتاليين للدراسة باعتبارهما محطّتينِ هامّتينِ فى الأدب العربى و فيهما تتجلّى و تتضح الصورة المتكاملة و المتنامية للأدب العربى القديم .

و إنّما هذه الفكرة و هى أن أدرس الرثاء فى هذين العصرين يرجعُ إلى رثاء نفسه، فإنّ الرثاء من أنبل الشعر العربى؛ لأنّه يصدر عن معاناة حقيقيّة و تجربة شعوريّة صادقة تترک الأثر الكبير فى النفوس و بذلک يكون شعر الرثاء أكثر حيويّة و نشاطاً و صِدقاً باعتقادى ما عدا ذلک الرثاء الّذى يقال لإرضاء ذوى الميّت أو مداهنتهم للوصول إلى غاية نفعيّة .

أهمّيّة الموضوع: إنّ البحث فى الرثاء باعتباره غرضٌ من الأغراض الشعريّة يبيّن لنا بوضوح كيفيّة تطوّره و ازدهاره و تأثّره من بيئته الّتى تفضى عليه موضوعات و ألوان جديدة نتيجة للمتغيّرات الموجودة فى كلّ عصر. ففى العصر الأموى مثلاً نرى أنّ عدّة أمور ساهمت فى تطوير الرثاء منها، قرب الصّلة بين هذا العصر و عصر صدر الإسلام و هذا العامل أسهم فى إستحداث مفاهيم و صور جديدة للرثاء مقارنة بالرثاء الجاهلى، إذ أنّ الرثاء طُبع بطابع المفاهيم الإسلامية نتيجة لتأثّره بالعصر الإسلامى و ثمّة سبب آخر و هو كثرة الفتن و الصراعات و الحروب فى هذا العصر أفضت للرثاء اتجاهات جديدة منها الإتجاهين السياسى و المذهبى الّذى كان الهدف منهما تفضيل حزب على آخر من خلال تسجيل المآثر الدينيّة للمرثى .

أمّا فى العصر العبّاسى و نتيجة لتطوّر الحياة العربيّة و امتزاج العقل العربى بالقوميات الأخرى، إزدهرت معظم الأغراض الشعريّة و منها الرثاء الّذى خرج عن المحدودة الضيّقة الّتى تتحدث فقط عن الأشخاص و شقّ طريقه نحو آفاق أخرى و لذلک استحدثت فى هذا العصر انواع أخرى للرثاء كرثاء المغنين و الجوارى، و رثاء المدن و الدول، و رثاء الحيوانات خاصّة الأليفة منها، و كذلک رثاء أعضاء الجسم و السلع. و استمرّ الرثاء التقليدى الموجّه للأشخاص فى هذا العصر إلّا أنّه تلوّن بألوان شعريّة متعددة و مفاهيم جديدة و

مبتكرة خاصّة فيما يتعلّق بالرثاء العاطفى الموجّه للأهل و الأقارب و كذلک الرثاء المذهبى من قبل شعراء أهل البيت فى هذا العصر.

و تناولت كتب و دراسات عدّة البحث فى الرثاء و دراسته و من هذه الكتب: الرثاء فى الشعر العربى، للدكتور محمود حسن أبوناجى، و الرثاء، للدكتور شوقى ضيف و كذلک رثاء غير الإنسان فى الشعر العبّاسى لعبدالله عبدالرحيم السودانى، ولكن لم أعثر على كتاب أو بحث قام بدراسة تقارن بين الرثاء فى العصر الأموى و العصر العبّاسى أو تابعت تطوّره و لذلک اتخذتُ هذا العنوان موضوعاً لدراستى أرصد به ما طرأ من تغيّرات و تطوّرات للرثاء فى العصرين متحدّياً العقبات و لم يكن الأمر للوصول إلى هذه الغاية سهلاً بل كان يحتاج إلى الجهد الوافر الّذى كان يجب علىَّ أن أبذله حتّى أوفّق فى هذا العمل، لذلک توكّلت على الله و بحثت فى الكثير من المصادر، خاصةً كتب الأدب القديمة و دواوين الشعراء حتّى أحصل على نماذج جديدة للرثاء و أدرسها و أبيّن رأيى بكل شفافية و موضوعيّة.

و أمّا اهم الأسباب الّتى دفعتنى لاختيار هذا الموضوع هى كالتالى

١- رغبتى فى دراسة أحد الأغراض الشعريّة و بما أنّ الرثاء يُعبّر عن عاطفة صادقة فى كثير من الأحيان و عن مشاعر جيّاشة و إحساس مرهف فى خلجات النفس اخترته موضوعاً لدراستى.

٢- إنّ هذا الموضوع فى هذه الفترة الزمنية و بهذة الكيفيّة لم يتعرّض للدراسة من قبل و إنّى لم أجد كتاب أو دراسة تقارن بين الرثاء فى العصر الأموى و العبّاسى، بل أنّ الرثاء و خاصة فى العصر الأموى لم يُعنى بكثير من الإهتمام من قبل الدارسين و الباحثين .

٣- نظراً لأهميّة محطتَى الأدب الأموى و العبّاسى قد قمتُ بدراسة الرثاء فى هذين العصرين الّذى أخذ بهما الفكر العربى ينمو و يتطوّر شيئاً فشيئاً.

٤- و أخيراً قد تُسهم هذه الرسالة ربّما فى فتح الطريق أمام كل من يريد أن يبحث فى الرثاء من الباحثين و الطلّاب و ذلک بتتبّعهم لهذا الغرض الشعرى فى هذين العصرين و الخوض فيه من زوايا مختلفة .

المنهج فی هذه الرسالة: تشمل هذه الرسالة ثلاثة فصول : **الفصل الأول** هو نظرةٌ عامّة إلی البيئة فی شتّی جوانبها فی العصرين الأموی و العبّاسی و قد تحدثتُ فی هذا الفصل عن الحياة الدينية، و العقلية، و الإجتماعية، و السياسية، و الإقتصادية و الأدبية فی كلا العصرين.

الفصل الثانی و تحدّثت فيه عن الرثاء و تطرّقتُ إلی معناه لغةً و اصطلاحاً و أشرت إلی سابقته و كذلک إلی مكانته فی الآداب العالميّة و اشرت أيضاً إلی الوان الرثاء و انواعه، ثمّ قمت بدراسته فی العصر الجاهلی لتكون هذه الدراسة المختصرة مدخلاً لعمليّة المقارنة الّتی كنت بصدد عقدها، ثمّ قمت بدراسة هذا الغرض فی العصر الأموی و بعد ذلک فی العصر العبّاسی، حتّی اكتشف بعض التطوّرات الّتی حدثت للرثاء فی هذه الفترة مستنداً بذلک إلی بعض النماذج الشعريّة الّتی تؤكّد ذلک التطوّر و التغيير.

الفصل الثالث و قمتُ فيه بمقارنة واضحة المعالم من خلال اتّجاهات الرثاء (العاطفی، والسياسی، و المذهبی، و الإنسانی و الحضاری) و ذكرت لكل من هذه الإتجاهات نماذج شعريّة من العصرين و عقدتُ مقارنة بين هذه النماذج، أكّدتُ فيها مدی أوجه التباين و التشابه للرثاء فی العصرين الأموی و العبّاسی. ثمّ تحدثت عن أساليب الرثاء و ذكرت نماذج شعريّة من العصرين لهذه الأساليب و تطرقت أيضاً إلی مقدمة قصيدة الرثاء و كذلک إلی الأوزان المستخدمة فی الرثاء فی كلا العصرين بصورة وجيزة .

و جئت فی الختام بنتائج البحث الّتی توصّلت إليها لتكون حسن ختام لهذا العمل و تلی هذه النتائج خلاصة للبحث باللغة الفارسيّة. و أخيراً جئتُ بفهرس لأكثر من ثمانين كتاباً و مقالة استفدتُ منها فی إعداد هذه الرسالة يتلوها ملخّص باللغة الإنجليزيّة

و أخيراً آملاً أن اكون قد وفّقتُ فی هذه الدراسة، فإن كان كذلک، فهذا فضلٌ من ربّی و إن لم يكن فحسبی أنّنی قد بذلت قصارة جهدی لإخراج هذه الرسالة بأحسن صورة و الله من وراء القصد .

الباحث : سعد ال ناصری

شهريور ١٣٩٣

الفصل الأول

نظرة عامّة إلى البيئة فى العصر الأموى و العصر العباسى

البيئة فى العصر الأموى

البيئة فى العصر العباسى

١) البيئة فى العصر الأموى

أ) الحياة الدينية

« كان عرب الجاهلية فى أكثر أنحاء الجزيرة العربيّة وثنيين ماديين. لايهمهم من الحياة سوى المُتعِ الحسيّة، فلما جاء الإسلام أضاءَ قلوبهم بمثاليّة روحيّة كريمة، تقوم على نبذ الحياة الدنسة القديمة إلى حياة طاهرة جديدة، كلّها عبادة، و تبتُّل إلى الله، و توسّل إليه، و مجاهدة النفس ، حتّى ترفض عَرَضَ الدّنيا و تطلب ثواب الآخرة.»[١] و على هذا النحو تقيّدت حياة العرب من الناحية الدينية و أصبحَ للإسلام الأثر البالغ فى حياتهم و بما أنّ الشعر و الأدب كانت لَهُ مكانة مرقومة عند العرب فمن الطبيعى أن يتأثر بالإسلام، خاصةً و أنَّ هذا الدين يتمثّل بأعظم نصٍ أدبىّ عرفته البشريّة الا و هو القرآن. إذن كثُرت فى هذا العصر استعمال المفردات القرانية و أيضاً تأثرت الأشعارُ بالمفاهيم القرآنيّة و روح الإسلام السّامية يقول شوقى ضيف:« فالشعر الأموى كُتب فى ظلال نفسيّة جديدة آمنت بربّها ، و استشعرت حياة تقيّة صالحة ، فيها نسک و عبادة ، و فيها تقوى و زهد. و ليس معنى ذلک أن كل الشعراء كانوا ناسكين زاهدين ، و إنّما معناه أنَّ الحياة الروحية الجديدة لم تنفصل عن حياتهم الفنيةِ ، بل أثرت فى كثير من جوانبها و طوَّرتها ، و ظهر هذا التطوّر فى صور مختلفة»[٢]

إذن كان من الطبيعى أن يؤثر الإسلام فى موضوعات الشعر الأموى و هو تأثير ربما كان يقوى و يَضعُف حسباً لنفسيّة الشعراء. فمن كان يتغلغل الإسلام فى أعماقه كانت أشعاره مُفعَمه بمثل هذه المفاهيم و أمّا من كانَ غير ذلک من الشعراء فإنَّ تأثير الإسلام فى شعره يكونُ أقل و لكن على أية حال كان أكثر الشعراء إن لم نقل جميعهم يستظلّون بظلال الإسلام و يستمدّون مفاهيمهُم منه.

---

١ شوقى ضيف، التطوّر و التجديد فى الشعر الأموى، ص ٥٥

٢ نفس المصدر، ص ٦٢

و قد نفذ هذا التأثير فى الكثير من المفاهيم و الأغراض الشعريَّة ، فمثلاً إذا تحوّلنا إلى المدح وجدناه يتحوّل فى كثير من جوانبه إلى تصوير الفضيلة الدينية فى الممدوح . و من ذلک المديح أبيات جرير التىّ يقول فيها

هذى الأرامل قد قَضَّيتَ حاجَتَها　　فمن لحاجةِ هذا الأَراملَ الذَّكرَ

خليفةَ الله ماذا تأمُرنَّ بنا　　لَسنا إليكم و لافى دار مُنتظرَ

أنتَ المُبارَک والمهدىُّ سيرتَه　　تعصى الهوى و تَقُومُ الليلَ بالسُّورَ[١]

«و الحقيقة أن الروح الدينيّة عمّت الشعر العربى فى هذا العصر . نجد هذا فى الكثير من المَراثى التى طبعت بطابع المثاليّة الروحيّة التى تقضى بأنّ الموت جزءٌ من الحياةَ و أن التسليم لهذا الأمر هو فى الواقع التسليم لأمر الخالق و الرضا بقضائه و قدره . من مثل ذلک قول الضحّاک بن قيس يرثى بهلولا الصُّفرى الذّى خرج لعهد هشام بن عبدالملک و قُتل

يا عينُ أذرى دموعاً منک تهتانا　　و أبلى لَنا صُحبَةً بانوا و إخوانا

خلّوا لنا ظاهر الدنيا و باطنها　　و أصبحوا فى جنات الخُلد جيرانا[٢]

ب) الحياة العقليّة

كان الإسلام سبباً فى تطوّر الحياة العقليّة للعرب. فبعدما كان العرب يعيشون فى حياةً بدويةِ بعيدة عن مظاهر الحضارة أصبحوا بعد الإسلام منفصلين أكثر على الثقافات و الحضارات التى صَبّت الكثير من تياراتها الحضارِية فى نهر الإسلام و أصبح العرب يستقون من هذا النهر.

ففى ميدان الفكر تظهر مؤثرات تتجه بالفكر العربى فى هذا العصر الى توجّهات لم يكن له عهدٌ بها . فيثور الجدل بين المسلمين فى شئون عقائدية كالقضاء و القدر و حرية الإرادة و الثواب و العقاب و الكبائر و نحوها و تظهر الفرق الكلامية كالقدرية و المعتزلة و الجهميّة و المرجئة و غيرها و يشغل المسلمون بالجدل فى هذه الأمور و يتلون الأدب فى العصر الأموى فى جراء ذلک ، بألوان فكرية جعلته يتوسع و ينمو أكثر و

---

١ – محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى، ص ٣٩٦

٢– شوقى ضيف، تاريخ الأدب العربى، العصر الإسلامى، ص ١٨١

هذا كله نتيجةً لاندماج العرب بالحضارات الأخرى و معرفتهم و اطلاعهم على الثقافات فى الحواضر و الأمصار.

«و نجد فى هذا العصر شاعراً يثبت فى شعره آراء المرجئة الجَبريَّة ، و يوضَّح أصول العقيدة التى اعتنقوها ، و هو ثابت قُطنَة الذّى نشأ فى العراق ، ثمَّ تقلّب فى حروب خراسان قائداً و عاملاً فى عمّال الثغور ، و استمع إليه يقول :

نُرجى الأمور إذا كانت مشبهَّةً و نَصدقُ القول فيمن جارَ أو عَنَدا
المُسلمون على الإسلام كلهمُ و المشركون أثبتوا دينهم قِدَدا
ولا أوى أن ذنباً بالغٌ أحداً مِ النّاس شركا إذا ما وحّدوا الصَمدا
و ما قضى اللهُ مِن أمرٍ فليسَ لَه رَدٌّ و ما يَقضِ من شيءٍ تكُن رَشَدا
كُلُّ الخوارج مُخطٍ فى مقالّيهِ و لو تعبَّد فيما قال و اجتهدا
أما علىٌّ و عثمانٌ فإنهما عبدانِ لم يُشركا بالله مذ عَبَدا

و هذه وثيقة طريفة أودع فيها ثابت رأى المرجئة ، فهم لايحكمون على الأمور المشتبهة، و هم فى الوقت نفسه لايُكفّرون أحداً من المسلمين على نحو ما يصنع الخوارج إذ كفَّروا عامة المسلمين»[١]. إذن تطورت الحياة العقلية فى العصر الأموى نتيجة لكثرة الفتوحات و امتزاج الأمم الأخرى بالعرب.

ج) الحياة الإقتصاديّة

ازدهر الإقتصاد فى عهد الدولة الأموية نتيجة للفتوحات الكبيرة التى ادّت إلى توسيع رقعة الدولة و وفّرت لها موارد هائلة أغنتها و وفرت لها كل حاجاتها . كانَ فى موارد الإقتصاد الأموى الأساسية الخراج الذى فرضته الدولة على الأراضى المفتوحة ، فبدلاً من توزيعها على الجنود أصبحت ملكاً للدولة، وترک مزارعوها يعملون بها مقابل الخراج الذى يُؤدّونه للحكومة. كما كان من موارد الدولة البارزة الأخرى الغنائم و بالإضافة إلى ذلک الجزية التى فرضتها الدولة الأموية على أهالى المناطق المفتوحة غير المسلمين.

١- شوقى ضيف ،التطور و التجديد، ص ٧۶

«لقد انتعشت الطرق البحريّة و النهريّة و البريّة الدولة الأموية الواسعة الأرجاء و قد ظهر هذا الإنتعاش و النشاط نتيجةً إلى زيادة الطلب على الواردات و إلى تبادل السلع و التجارات بعد استقرار عمليات التحرير و الفتوحات العربيّة الإسلامية و تأسيس الأمصار و المُدُن. »[١]

مع ذلک لم تزدهر التجارة ابّان الدولة الأمويّة ازدهاراً ملحوظاً قياساً بالدولة العبّاسيّة ، و هذا الأمر يرجع إلى عدّة عوامل منها ، أنَّ الدولة الأمويّة ربّما انفقت الكثير من الأموال لصالح حروبها مع التيارات الإسلاميّة المعارضة و السبب الآخر ربّما يكمن فى فرض ضرائب كثيرة على الموالى التى اثقلت هذه الأموال كاهلهم و بالتالى هذه الضرائب لم تكن لتسمح لهم أن يقوموا بنشاطات اقتصادية إذ أن ايديهم كانت فارغة من المال و ثَمةَ سببٌ آخر و هو عدم الاستقرار فى الحكم أدى إلى أن لايكون للإقتصاد ذلک البريق الذى شهدناه بعد ذلک فى العصر العبّاسى . لكن لا شک أنّ حجم المال الّذى كان يَفدُ على الأسرة الحاكمة كثيراً و هائلاً ممّا أدّى بالشعراء إلى أن يطرقوا باب الدولة لينشدوا أشعاراً فى مدحها حتّى تغدق لهم العطاء و بما أنّ الشعراء لم تكن لهم اليد الطولى فى النشاطات الإقتصادية و الجو الحاكم لم يُوفِّر لهم و لا لغيرهم من النّاس ذلک فمن الطبيعى أن يلجأ الشاعر إلى مثل هذه الطريقة و هو يعلم أنّ إنشاده لشعر هى المهنة الوحيدة التى يستطيع من خلالها أن يوفِّر لنفسه و لعائلته المال. إذن نشط الشعر و خاصّة المدح منه نتيجةً للظروف الإقتصادية و المعيشيّة التى كان يَعيشُها الشاعر آنذاک.

«و كانت دمشق و أموالها مفرغَ الشعراء من أقصى البوادى إلى أقصى الحواضر، فهم يَشدّون إليها الرِّحال من الحجاز و العراق ، يستميحون خلفاءها بهذه الطرائف من مدائحهم ، و يعودون من عندهم بُجرَ الحقائب قد ملأوها بالعطايا الجزيلة . و من خير ما يصور ذلک قولُ جرير يمدح عبدالملک بن مروان على لسان زوجه أُمَّ حزرة :

تعزَّت أمّس حَزرَةَ ثم قالت رايتُ الواردين ذوى لقاحِ
تُعلِّلُ و هىَ ساغِبةٌ بَنيها بأنفاسٍ من الشَّبِمِ القَداحِ

١- لبيد ابراهيم احمد، التجارة فى العصر الأموى (مقالة)

ثِقی بالله لیسَ له شریکٌ و من عند الخلیفة بالنَجاحِ
أغثنی یا فداکَ أبی و أمی بسَیبِ منک إنک ذو ارتیاحِ
سأشکرُ أن رددت عَلَیَّ رَیشی و أنبتَّ القوادِمَ فی جناحی

فهو یعلن علی لسان زوجته حاجته الملحة إلی المال . و یَروی الرواة أن عبدالملکُ قال له هل تُرویها مائة لَقحة؟ و أمر له بها و بثمانیة من الرِّعاء . و مثل هذا العطاء هو الّذی کان یَسیل له لُعاب الشعراء . فکانوا یقفون فی صفوف بنی أمیة.» [١]

إذن مثلَ الشعر فی العصر الأموی الحیاة الإقتصادیة و أثّر هذا الجانب بشکلٍ واضح علی الشعر فی هذا العصر فهذا الجانب فی الحیاة صوَّر لنا من جهةٍ حاجة الشعراء إلی المال و من ناحیة أخری صوّر لنا نظم الدولة الإقتصادیة و ما شابَ هذه الدولة من خلل و اضطراب فی هذا المجال.

د) الحیاة السیاسیة

إن الواقع السیاسی الذی عاشه العصر الأموی خلَّف شعراً سیاسیاً عبر عن الحزبیّة المتصارعة فی ذلک العصر و أنّ هذا الواقع کان له تأثیره علی ألوان أخری من الشعر لتبرز و تتطوّر و تنتشر.

و من الآثار الأدبیة الأخری للحیاة السیاسیة فی العصر الأموی أن عادت الفنون الجاهلیة القدیمة من الفخر الکاذب و المفاخرات بین العرب فی مجتمعاتهم الأدبیة.

و کان لقیام الأحزاب السیاسیة المعارضة للأسرة الحاکمة کاتباع أهل البیت و الزبیریین و الخوارج فی ذاک العصر أثر کبیر من ظهور الشعر السیاسی ، و کان لکُلّ حزب شعراؤه الذین ینتمون إلیه و یدافعون عنه بشعرهم و تعدّدت مذاهب الشعراء الفکریّة و السیاسیة و ازدهر فن المدح و الحماسة و وصف المعارک و رثاء القتلی ، علی إثر ذلک و قد أثمر ذلک کلّه عن نهضة الشعر و قوته فی ذاک العصر الذی فعلاً تطوّر بفعل الأحزاب السیاسیة المتنازعة حیث روّج الشعراء للأحزاب السیاسیة المختلفة و أخذوا یعبرون بشعرهم عن أفکار و مبادئ الأحزاب التی ینتمون إلیها ، فاتسعت مجالات الشعر و آفاقه إذ اتخذه الأمویّون و

١- شوقی ضیف، التطوّر و التجدید، ص١١٩

غيرهم من الأحزاب أداةً للتعبير عن آرائهم السياسية و دائماً ما تتسمُ هذه الأشعار السياسية بصبغة دينية لِأنَّ الأمر كان يتَعَلَّق بالخلافة و زعامة المُسلمين فكُلُّ شاعر كان يريد أن يُفضى إلى اكابر و وجهاء و زعماءِ حزبه صفات دينية و أخلاقيّة رفيعة حتّى يُبيّنَ للعموم أنَّ الحزب الّذى ينتمى إليه هو الأحق بالخلافة من الفرق المناهضة له، فشعراء الحزب الأموى دائماً كانوا يُسبغون الصفات الدينيّة على خلفائهم . من ذلک قول جرير فى عبدالملک بن مروان خامس خلفاء بنى أميّة :

لولا الخليفةُ و القرآنُ يقرؤُه ما قامَ للنّاس أحكامٌ و لاجمعُ

أنتَ المباركُ يَهدِى اللهُ شيعته إذا تفرَّقَت الأهواءُ و الشيَعُ

فكلُّ أمر يُمنٍ أمَرتَ به فينا مطاعٌ و مهما قُلتَ يُستَمَعُ

يا آل مروانَ إنَّ الله فضَّلكُم فضلاً عظيماً على مَن دينُه البِدَعُ[١]

و يقول شوقى ضيف«أنّ الشعر فى عصر بنى أميّة تطوّر تحت تأثير السياسة ، فإنَّ الشعراء توزَّعوا على الأحزاب و أخذوا ينظمون شعرهم معبّرين عن نظريات سياسية جديدة . و كان حزب الأمويين أكثر نَفَراً ، و كانَ يليه حزبا الشيعة و الخوارج . أما حزب الزبيريين فكان أقل الأحزاب شعراً و شعراء . و كان هذا الشعر السياسى يُصبَغ بصبغة دينية ، لأنه فى الواقع كانَ يتصل مباشرة بفكرة إمامة المسلمين و خلافتهم ، فطبيعى أن يصبَّ فيه الدين و أن تَسيل منه أشعه إلى قصائده و نماذجه.»[٢]

هـ) الحياة الإجتماعيّة

لا شکَّ أنَّ الشعرَ يتطوّر بتطوّر الحياة الإجتماعية و لكُلِّ عصر حالةٌ اجتماعية تؤثّر بشكل ملحوظ على مناحى الأدب و خاصّةً الشعر و العصر الأموى ليس مستثناً فى ذلک . حيثُ أنَّ ظهور بعض الطبقات الفئوى و الحالات الإجتماعية التى لم يعهدها العرب من ذى قبل انعكست فى الشعر العربى و صُوّرت فيه أروع تصوير. فظهرت فى هذا العصر موجة الترف و اللهو فى مكةَ و المدينة و لَعلَّ للدولة الأموية اليد الطولى لتشكيل و تكوين مثل هذه الموجة فى هاتين المدينتين اللتين بدلاً من أن تكونا منارةً للدين و مقصداً

١- ديوان جرير، ص٢٧٨

٢- شوقى ضيف، التطوّر و التجديد، ص١٠١.

للشريعة، أصبحتا مركزاً للغناء و اللهو و الترف . فالدولة الأمويّة خلقت مُناخاً مهيّاً لشيوع هذه الظاهرة، إذ أنّها كانت تنوى إبعاد أهل مكة و المدينة عن التفكير فى أمر الخلافة و لم تجد سبيلاً إلى ذلک إلّا إغداق الأموال على أهلِ هذين المدينتين و استرضاءهم بهذه الطريقة حتى تشيع بعد ذلک موجةٌ من الترف و الثراء و اللهو فى الحاضرتين . فظهر بعض المغنين و المغنيات الذين استحدثوا اصول الغناء و ارسَوا قواعده يقول شوقى ضيف:« نهضت المدينة فى هذا العصر بفن الغناء نهضة واسعة و شاركتها فى ذلک مكة ، و لانغلو إذ قلنا إنّ البلدتين جميعاً لم تُبقيا إلّا قليلاً للعصور التالية كى تضيفه إلى نظريته التى استحدثتاها »[١]و أما عن تأثير هذه الظاهرة الإجتماعية فى الشعر فيقول ضيف : « فشاعر المدينة و مكة ودمشق فى هذا العصر لم يكن حراً، بل كان مقيّداً بنظرية الغناء الجديدة التى وضعت حينئذ و رغبة أصحابها فى بعض الألحان و الأنغام التى قد تحتاج فى الشعر إلى جَهرٍ و مَدٍّ فى بعض الحروف و هَمسٍ و تقصير فى الحروف الأخرى ، و هو ما تعوّد العروضيون أن يسمّوه بالزحافات . و لاشک فى أنّ كثيراً من زحافات الشعر فى هذا العصر أريد بها تلبيةٌ لحاجة مُغَنّ من المغنين أم مغنية من المغنيات.»[٢]

أما لإحياء العصبيات القبلية دورٌ هامٌّ فى تطوير الشعر فى هذا العصر خاصةً فى مدينتى البصرة و الكوفة . ظهر ذلک جلياً فى أشعار أعلام الشعر فى هذا العصر من أمثال جرير و الفرزدق اللّذانِ كانا يتهاجيان فيما بينها على أساس قبلى و هذا ما ساعد فى هذا العصر على ظهور فن النقائض. « و كانت تُلقى هذه الأهاجى فى مدح المِربَد أكبر أسواق البصرة ، و كانت تأخذ شكل لُعبة طريفة يجتمع الناس لمشاهدتها و الفُرجةِ عليها و قد تحوّل فن الهجاء الجاهلى إلى فن نقائض الأموى و اتخذوه ليسلُّو به هذه الجماعة الفارغة فى العراق.»[٣] و يعتقد البعض«أنَّ النقائض معروفة مطروقة قبل عهد بنى أميّة، و هى قد اتخذت مكاناً عند

١- ضيف، تاريخ الأدب العربى، العصرالإسلامى، ص١٤١.

٢- ضيف، التطوّر و التجديد، ص١٠٥

٣- نفس المصدر، ص١١٣